(٨)
تامر الغمراوي

أقامت الغجرية وعد بشقتها بالعبور وليمة كبيرة يوم سبوع ياسين ، دعت إليها أهلها ومعارفها ، وأكل الجميع حتى شبعوا ثم انصرفوا ، لكن طلبتْ وعد مِن صباح وراضية أنْ تبقيا للمبيت عندها ، وحمل الزوج سالم الطفل الوليد ياسين والفرحة تغمره .. نظر إلى زوجته وعد وقال لها :

- أنتِ وجه السعد والخير عليَّ يا وعد .. ما أجملَ هذا الطفل! .. لكن لماذا لا يشبهني؟

فنظرتْ له وعد نظرة احتقار لم يلحظها ، ثم قالت :

- ملامحه لم تظهر بعد

ونظرتْ صباح لوعد ثم قالت لسالم :

- الطفل عندما يولد يأخذ ألف شكل حتى يستقر.. لكن عندما يكبر ستكون ملامحه لكَ يا سالم

وشعرتْ راضية بحسرة ، لكنها أخفتها بداخلها ، وتصنعتْ الابتسامة قائلة :

- ربنا يبارك يا وعد .. ويتربى في عزك يا سالم

فألقى عليها سالم نظرة باردة مشوبة بالازدراء ، ثم سكت في حين قالت وعد تسألها عن عملها :

- ما أخبار الشغل معكِ يا راضية؟ .. ألم تعودي لبيت الدكتور مالك وحنان؟

فابتسمتْ راضية ابتسامة عجب ، وقد تذكرتْ ما فعلته وعد مع إياد ، فقالت :

- طبعا لم أعد إلى هناك وأنتِ تعرفين السبب

وتدخَّل سالم وقال يسأل :

- ما السبب؟

فقالت راضية مسرعة :

- لا شيء يا سالم

ونهضتْ مِن مكانها تستأذنهم في أنْ تذهب للنوم ، وألقمتْ وعد الطفل ياسين ثديها ليرضع وينام ، في حين سألتْ صباح بعد دخول راضية إحدى الحجرات :

- ما لها راضية؟

فقال سالم غاضبا :

- مؤكد أنها حاقدة عليكما فلا تشغلا بالكما بها .. إنها أرض بور والأرض البور تُؤلِم كلَّ مَن يمر بها

وكان أول شيء فعله سالم بعد ذلك خاصا براضية أنْ طلقها ، وأخرجها مِن شقتها معه في منشية ناصر، ونقل وعد مكانها .. وارتاحت وعد لذلك كثيرا وفرحتْ ، فقد قرَّبها نقلها إلى هناك مِن مدينة نصر.

ومَن في مثل راحة وفرحة تلك الغجرية؟ .. إنها قد صارت صاحبة الأموال بالبنوك ، ولديها شقة بالحي السادس بمدينة نصر، فقد أعطاها المهندس معتصم ضمن ما أعطاها مبلغا كبيرا لشقةٍ في مكانٍ راقٍ ، لكنها بخلتْ فاشترتْ بنصفه شقة الحي السادس ، واحتفظتْ بالباقي في البنك مع الأموال الأخرى ، وبالطبع لم تنسَ صباح مِن هذه الغنائم ، كما لم تنسَ أمها ألطاف .

وبالطبع فإنَّ الزوج سالم السعدي لم يكن يدري بأي شيء مِن ذلك ، إنه قد حمل زهرة ابنة صباح ولاعبها كثيرا على أنها ابنته ، وصار يحمل ياسين ويلاعبه كثيرا على أنه ابنه ، إنه الزوج المخدوع خديعة السنين ، إنه لا شيء عند زوجتين خانتاه

كثيرا ، ولا تزالان على استعدادٍ لأنْ تخوناه كل يوم ، لكن راضية الزوجة الأولى له ، والأصيلة التي أحبته ولم تخنْ قد طلَّقها ، طلَّقها لأنها أرض بور كما يظنُّ مخدوعا .

واشتاقت وعد الغجرية إلى عمل التسول رغم ثرائها الخفي الذي لا يعلمه غير الغجريتين صباح وألطاف ، فبدأتْ تواظب على الذهاب إلى مكان تسولها القديم بإشارة تقاطع شارعي الطيران ومصطفى النحاس أمام مطعم البرج ، وكانت قد أكدتْ على نهاد ابنة خالتها وعلى نوال نائبتها هناك أنها ستعود ، وكانت خلال الشهور السابقة تعود بالفعل مِن وقت لآخر ، فتأخذ ما تستطيع أنْ تأخذه منهما ثم تغادرهما على أنْ تعود .

وكان قد مرَّ ما يقرب مِن عام منذ وضعتْ وعد ابنها بدر ، وأحزنها أنْ أضاعت عاما كاملا بلا عمل وبلا غنائم جديدة ، لكن عند عودتها أخذتْ الطفل ياسين معها إلى العمل ، وبالطبع فإنها لم تأخذه لترضعه فلا يجوع بدونها ، ولم تأخذه لأنها لا تقوى على مفارقته حبا له .. هي لم تشعر بعد أنها تحبه ، لكنها قطعا تشعر ببعض الحب لابنها ابن بطنها بدر ، لكنها أرادت أنْ تستثمره لينفعها وينفع نفسها الشريرة الطموحة قبل أن ينفع نفسه ، ولهذا زرعته زرعا شيطانيا داخل هذا البيت الثري كوديعة لها تسترد كامل ربحها يوما ما كثيرا كثيرا .

وإنَّ الطفل ياسين أيضا كان لا بد أنْ تستثمره ، فأخرجته للعمل متسولا محمولا وهو ابن عام .. ياسين ابن الحسب والنسب والجاه والقصور والأملاك والأموال التي لا آخر لها سيحيا حياته في الشارع وداخل الحارات الشعبية وسط رفاقٍ مِن المتسولين واللصوص والبلطجية .. ماذا لو علمتْ أمه الحقيقية صاحبة القصور بذلك؟ تلك المرأة الرومانسية الرقيقة مهندسة الديكور الشابة؟ ماذا لو علمتْ أنَّ طفلها ابن بطنها هو طفلٌ آخر غير بدر ، هذا الذي يحبو بقصرها فوق

الحرير، طفلٌ اسمه ياسين؟ ذاك الذي تحمله كل يوم متسولة تتسول به تحت حر الصيف الذي يصهر الحديد ، وتحت برد الشتاء الذي يقرص الدببة .. أجل ماذا قد تفعل المهندسة الثرية أحلام المصري إذا علمتْ أنَّ الطفل بدر الذي ترضعه الآن ، وتصب عليه الحب صبا ، وتخفيه بعينيها مِن كل لفحة هواء ، وتحبه أكثر مِن حبها لنفسها ليس طفلها؟ .. يا الله !

وقف تاكسي جانبا أمام مسجد نوري خطَّاب على الجهة المقابلة لحي مدينة نصر والمواجهة لمطعم البرج حيث مكان تسول الغجرية وعد ، نزلتْ منه امرأة شابة جميلة تحمل طفلا رضيعا .. كانت هي ، قد استقلتْ هذا التاكسي مِن منشية ناصر حتى مكان عملها ، وبالطبع ليس خوفا على ياسين ، إنما لأنها قد صارت تحب الترفيه عن نفسها كثيرا ، تأكل جيدا ، وتشرب جيدا ، وتلبس أيضا جيدا لدرجة أنها قد صارت مثار حديث المتسولين والمتسولات ، كما صارت أيضا محط إعجاب وحديث الزبائن .

قال لها يوما شاب مِن نافذة سيارته بعد أنْ أخذ منها علبة مناديل صغيرة وأعطاها عشرين جنيها :

- أنا لا أصدق أنكِ متسولة .. ومع ذلك سأعطيكِ العشرين جنيها مِن أجل جمالك

ابتسمتْ له وقالت :

- كلك ذوق يا بيه .. ربنا يكثر مِن أمثالك

فركن سيارته جانبا وهي تتبعه وعلى يديها الطفل .. سألها :

- الجميل .. ما اسمه؟

أجابت بابتسامة ماكرة :

- ياسين

ابتسم وقال :

- لا أقصد الطفل .. إنما أقصد مَن تحمل الطفل

ابتسمتْ وقالت :

- وعد

ضحك وقال :

- وأنا تامر

وتناول مِن درج سيارته ورقة ، وكتب بها رقم تليفون ، وناولها الورقة مع عشرين جنيها أخرى وهو ينظر لها ويبتسم قائلا :

- كلميني على هذا الرقم

أخذتْ وعد الورقة والعشرين جنيها ، ووضعتهما بحقيبة صغيرة معها دون أنْ تنظر بالورقة ، وراحت تُكْمِل عملها ، وكان الطفل ياسين قد انخرط في بكاءٍ طويلٍ مؤلمٍ للقلب والأذن ، فلم تلتفت له وكأنها لا تسمع بكاءه حتى جاءتها نوال .. قالت لها وهي تنظر للطفل وترقُّ لحاله :

- وعد .. سأسألكِ سؤالا

نظرتْ لها بترقب وكأنها توقعتْ سؤالها وقالت :

- اسألي

- هل هذا الطفل ابنك أم إيجار.....؟

قاطعتها قائلة بكل ضيق :

- وما دخل أمك بذلك؟

- إنه يبكي منذ فترة .. اجلسي جانبا وأرضعيه
- لا تتدخلي في ذلك .. أو خذيه وأرضعيه أنتِ

فوضعتْ يدها على صدرها وقالت وهي تبتسم :

- كنت أتمنى ذلك .. لكن مِن أين آتي باللبن له؟

ضحكتْ وعد ضحكة خليعة وقالت تمازحها :

- اذهبي واحملي وهاتي لنا طفلا ولبنا .. أم أنَّ الموكوس زوجك لا فائدة منه؟

وضحكتْ نوال قليلا ثم سألتها :

- الشاب الذي أعطاكِ ورقة منذ قليل .. ماذا يريد منكِ؟

فنظرتْ لها وعد بغضبٍ وقالت :

- اهتمي بشغلك فقط .. لا تشغلي بالك بي
- وعد يا حبيبتي احذري منه
- هل تعرفينه؟
- نعم .. لكن نهاد بنت خالتك تعرفه أكثر .. ألم تخبركِ؟
- بِمَ تخبرني؟
- إنه السبب في أنها لا تأتي هنا منذ فترة

والتفتتْ لها وعد باهتمام أكثر، وطلبتْ منها أنْ تخبرها بالقصة كاملة .

أخبرتها نوال أنَّ هذا الشاب يعمل في العقارات وكل شيء يجلب مالا ، وهو نصاب محتال .. بدأها مع نهاد بتمثيل دور المعجب ثم العاشق الولهان ، وذهبتْ له وقابلته ، واختليا ببعضهما ، ووثقتْ به ، فأخذ منها أموالا كثيرة بحجة أنه سيستثمرها لها ، ويعطيها منها عائدا كبيرا ، وبالفعل كان يعطيها ربحا كبيرا في

البداية ، ثم فجأة أخبرها بأنه خسر كل أمواله ، واختفى بعدها ، ثم ظهر ثانية منذ أسبوع .

نظرتْ وعد لها وقال بكل تحد وعزم :

- إذن سأريكِ يا نوال ما سأفعله بهذا النَصَّاب
- احذري يا وعد .. إنَّ نهاد لم تأخذ منه حق أو باطل
- أنا لستُ نهاد الموكوسة .. لكن أخبريني هل هو غني؟
- انظري إلى سيارته لتعرفي .. طبعا غني لكنه نصَّاب ومكَّار
- المهم أنه غني .. هذا ما أريده

وكان بالشقة التي انتقلتْ لها وعد في منشية ناصر تليفون أرضي .. كان أول شيء فعلته عندما دخلتْ شقتها أنْ ألقتْ ياسين على سرير بحجرة صغيرة .. بكى فأغلقتْ الحجرة عليه .. ضغطتْ بضعة أرقام ، كانت رقم الشاب تامر .. ردَّ عليها :

- آلو

لم تتحدث ، إنما راحت تتنهَّد دون أنْ تُخْرِج صوتا مفهوما ففهم أنها أنثى تعاكسه .. قال لها :

- ألن أسمع صوتك؟ .. آلو .. عموما أنا مرتاح هكذا .. لو بقيتُ أسمع تنهيداتك هذه ليوم القيامة فلن أشعر بملل .. يبدو منها أنكِ رقيقة جدا وأنثى جدا

وأغلقتْ الخط ، والتفتتْ تغير ملابسها ، ثم رنَّ جرس التليفون ، وعرفتْ أنه هو ، وقد عرف رقمها مِن إظهار الرقم عنده .. تركتْ التليفون يرن ، وتركت ياسين يبكي ، وكانت قد جلبتْ معها طعاما وفاكهة وهي عائدة مِن العمل .. جلستْ تأكل وتشرب والتليفون يرن ، وياسين يبكي ويسكت ثم يبكي بكاءً يقطع نياط القلب ، لكن ماذا لو كانت تلك الشيطانة الغجرية بلا قلب؟

أكلتْ وشربتْ حتى شبعتْ ثم اتجهتْ ناحية الكاسيت ، فوضعتْ به شريطا لميادة الحناوي .. أدارت الأغنية : (أنا بعشقكْ أنا .. أنا كُلِّي لَكْ أنا .....)

وعاد جرس الهاتف يرنُّ .. لم يكن لديها خدمة إظهار الرقم .. أوقفتْ أغنية ميادة ثم رفعتْ السماعة .. انتظرتْ حتى سمعتْ صوتَ الشاب ، ثم أجابتْ بكل أنوثة ودلال :

- آلو

قال الشاب وهو يخمّن أنها هي وعد المتسولة التي أعطاها رقمها أول اليوم :

- مَن معي؟

لم ترد ، إنما أدارت الكاسيت ، ووضعتْ سماعة التليفون على سماعة الكاسيت ليسمع الشاب تامر صوت ميادة الحناوي : (أنا بعشقكْ أنا .. أنا كُلّي لكْ أنا .....)

وذهبتْ هي فألقتْ نظرة على الطفل المسكين ياسين فوجدته قد سكت ونام ، فذهبتْ لسريرها ونامت تاركة تامر يسمع أغاني ميادة الحناوى على أمل أنْ يسمع صوت وعد المحروس بعدها .

وفي الصباح في مكان عملها وقفت بجانبها سيارة تامر ، فألقتْ نظرة فوجدته ينظر لها ويبتسم ، ثم وجدته يدير كاسيت سيارته لتسمع صوتَ ميادة الحناوي : (أنا بعشقكْ أنا .....)

ابتسمتْ له ففهم أنها هي .. قالت له :

- انتظرني الليلة .. سأتصل بكَ

ضحك وقال لها :

- أغنية مَن سأسمعها الليلة

ابتسمتْ بأنوثة وقالت :

- أنتَ وحظك

- المهم أن أسمع صوتكِ بعدها

وعند منتصف الليل اتصلتْ به ولم تتحدث ، إنما تركته يسمع أغنية قارئة الفنجان : (جلستْ والخوفُ بعينيها تتأمل فنجاني المقلوب .. قالت يا ولدي لا تحزن فالحبُّ عليكَ هو المكتوب .....)

وبعد انتهاء الأغنية أغلقتْ الخط فاتصل ، فأجابت :

- آلو

قال في شوقٍ لأنْ يتحدثا :

- أخيرا أسمع صوت القمر

- ماذا تريد؟

- أريدكِ .. أقصد أريد أنْ نتحدث كثيرا

- هل تعطي رقمكِ لكل مَن تبيع المناديل في الشوارع؟

- لا طبعا .. أعطيته لكِ فقط لأني معجب بكِ

- هكذا دون أن تعلم عني شيئا .. اسمي .. أهلي .. سكني

- أنا معجب بكِ أنتِ .. لا باسمك أو أهلك أو سكنك .. ومع ذلك .. ها أنا أسألكِ عن اسمك

- اسمى وعد المحروس

- طبعا أنتِ متزوجة؟

- ولماذا أنتَ متأكد ؟ .. هل قرأتَ على وجهي أني متزوجة؟

- لا .. لكن مِن الطفل الذي تحملينه وأنتِ تبيعين المناديل

- ألا تعرف أننا نؤجر الأطفال لنعمل بهم؟
- أسمع عنكن ذلك لكنني لا أصدق
- الآن صدِّق .. فنحن مجرماتٌ جدا
- ربنا يحفظنا
- عموما .. أنا ما زلتُ بنتا يا أستاذ تامر

وصدَّق تامر كذبها ، لكن بدا عليه أنه لم يستحسن كونها غير متزوجة ، ثم سألها :

- أين تسكنين؟
- في كوكب الأرض
- نكتة ظريفة .. لكن أين في كوكب الأرض؟
- في قارة أفريقيا
- أين في قارة أفريقيا؟
- في مصر
- أين في مصر؟
- في القاهرة
- أين في القاهرة؟
- ألا يكفي هذا لاستخراج بطاقتي الشخصية؟
- صارت النكتة تافهة
- وأنتَ مثلها
- لِم الغلط يا وعد؟
- أنتَ مَن بدأتَ

- هل لكِ تجارب سابقة؟
- ماذا تقصد؟
- أقصد أنكِ فتاة جميلة .. مؤكد قد مررتِ بتجارب حب أو.....
- ماذا تقصد بـ أو؟
- جنس
- تأدب يا تامر.. لا يغرنك أننا وحدنا والشيطان ثالثنا

ضحك تامر وقال :

- لا تفهميني خطأ يا وعد
- إنَّ مشكلة كل الرجال معي أني أفهمهم فهما صحيحا
- صدقيني أنا غرضي شريف
- ما هو غرضك الشريف إذن؟
- أنْ نتعرف أكثر ونتقابل .. ثم نقرر
- ماذا تعمل يا تامر؟
- أنا رجل أعمال .. لي في كل شيء
- هذا جيد .. قد نعمل سويا

وضحكَ تامر ثم قال :

- كيف؟ .. ماذا نعمل سويا يا وعد؟
- هل تظنني فقيرة لأنني أبيع مناديل
- لا أقصد ذلك والله .. لكن .....
- يا تامر أنا أغنى منكَ مهما كنتَ غنيا .. لا تنسَ كلمتي تلك

وسارع تامر يقول :

- لا تفهميني خطأ يا وعد .. كنتُ أمزح معكِ .. عموما أتمنى أنْ نعمل سويا
- وأنا أتمنى ذلك

وسكتَ تامر قليلا فقالت له :

- لماذا لا تتكلم؟
- أسكت لأسمع دقات قلبي
- لِمَ يدق قلبكَ؟
- مِن شدة إعجابه بكِ
- ما هذا الكلام الجميل يا تامر؟ .. هل أنتَ شاعر؟
- مَن يسمع صوتكِ لا بد أنْ يكون كل كلامه شعرا
- كلامكَ فعلا جميل جدا

وظلَّ تامر لفترة صامتا فقالت له وعد :

- لماذا تسكت كثيرا؟

قال لها بصوتٍ فيه تأثر:

- كنتُ أفكر فيكِ يا وعد
- ما الذي أعجبكَ فيَّ؟
- شعرتُ أنكِ متميزة وأنَّ وراءك أسرارا كثيرة
- أنا فعلا كلّي أسرار.. فاحذرمني
- أنا أعشق الأسرار
- هل هذا فقط ما جذبكَ لي؟
- طريقتك في اللبس أيضا تعجبني جدا .. مختلفة عن كل النساء في الإشارة

- ألم أقل لكَ إنني غنية؟
- إذن ماذا تلبسين الآن أيتها الغنية؟
- لن أخبركَ يا لئيم
- أرجوكِ
- شورت أحمر وتشيرت حملات أسود يُظهِر نصف صدري ويصل فقط حتى الصُرَّة
- كنتُ أتمنى أنْ أراكِ الآن
- لِمَ أيها المجرم؟
- لأعبر لكِ عن إعجابي بما تلبسين
- ألا تستطيع أنْ تعبر عنه بالتليفون؟
- طبعا أستطيع لكني أشعر بالخجل

وضحكتْ وعد ضحكة خليعة قائلة :

- لا تخجل يا تمورة .. هيا تحدث .. تحدث كأنكَ تتحدث إلى نفسكَ
- ألن تغضبي ؟
- كيف أطلب منكَ أنْ تتحدث ثم أغضب؟
- صدقا ألن تغضبي؟
- قلْ خلصني
- لو كنتُ معكِ وأنتِ أمامي بهذا اللبس .. كنتُ .....
- كنتَ ماذا؟
- كنتُ سأجلس بجانبكِ على السرير
- ثم ماذا؟

- أنظر في عينيكِ
- ثم ماذا؟
- أقترب منكِ وأمسك يدكِ
- ثم ماذا؟
- أقرّب شفتي مِن شفتيكِ
- ثم ماذا؟
- أتحسس بيدي شعرك وأسفل عنقكِ
- ثم ماذا؟
- أقبلكِ
- أين؟
- في شفتيكِ ورقبتكِ
- ثم ماذا؟
- أنزل بيدي على صدرك و.....

وهنا أغلقتْ وعد الخط متعمدة أنْ تفعل ذلك عند هذا الحد مِن الكلام لتتركه على حالته تلك مشتعلا بالنشوة ولهفة الرغبة .. اتصل تامر مرة ثانية فأجابت ، فقال بصوتٍ يملؤه التأثر:

- وعد لماذا قطعتِ الاتصال؟

قالت وهي تتصنع البكاء :

- للأسف أنتَ فهمتني خطأ يا تامر
- لماذا تقولين ذلك يا وعد؟
- أظنكَ تفهم السبب فلا تتظاهر بالغباء

- أرجوكِ لا تغضبي مني .. لا أستطيع تمالك نفسي أمام صوتكِ الجميل
- أعطني وعدا ألا تعود لكلامِكَ هذا
- أعدكِ ألا أعود لهذا الكلام
- قل لى يا تامر.. هل تعمل في شراء الشقق وبيعها؟
- أجل
- وأنا أيضا أشتري شققا وأبيعها
- معقولة!!
- هل نسيتَ؟ .. قد أخبرتكَ أني غنية
- إذن تعالي إلى مكتبي لنتحدث عن العمل .. لن ينفع الكلام عن العمل في التليفون
- سآتي طبعا .. لكن إياك أنْ أجد نفسي وأنتَ وحدنا
- بصراحة أنا أحلم بهذه اللحظة
- أية لحظة؟
- أنْ نكون وحدنا
- ماذا ستفعل عندما نكون وحدنا؟
- عندما تأتين ستعرفين
- لا صبر عندي فأخبرني الآن
- أنتِ تغضبين مني في النهاية يا وعد
- لن أغضب وهيا تحدث بكل حرية وبلا تفكير

وأعطته وعد الإذن لينطلق في كلامه دون توقف ، فتجرأ وقال :

- لو جئتِ إليَّ في مكتبي سأفتح لكِ الباب ثم أغلقه خلفكِ ثم أحملكِ إلى سرير بحجرة داخلية
- هل ستقدر على حملي؟

- طبعا فأنتِ رشيقة وجسمك جميل
- ماذا يعجبكَ في جسمي؟
- كل شيء
- مثل ماذا؟
- يجب أولا أنْ أجردكِ مِن ثيابكِ لأصفه جزءا جزءا
- هيا جردني مِن ثيابي
- ألن تغضبي؟
- كيف أغضب وأنا أريد ذلك؟
- بجد يا وعد
- بجد يا تامر
- أحبك يا وعد
- هل تقولها صدقا أم أنه كلام ليل؟
- المهم أني أشعر بها الآن
- هل لي أنْ أطلب منكَ شيئا يا تامر؟
- تفضلي .. اطلبي
- هل تسمح لي أنْ أحضنكَ؟

- طبعا تعالي

وهنا أغلقتْ وعد الخط ، فعاد واتصل قائلا في نشوةٍ غاضبةٍ :

- ماذا تفعلين بي ثم تتركيني؟
- غدا نفعل كل شيء دون قيود

- ألن تُغلقي الخط غدا يا وعد؟
- أصلا لن نتحدث في التليفون
- لِمَ؟
- لأنني سأكون بين يديك يا تامر
- كيف؟
- سآتيكَ إلى مكتبكَ